تجليّات ثنائية الحرب والسّلم في النّص الشّعري القديم
مقاربة الأنساق الثّقافية المضمرة لنماذج مختارة

Manifestations of the duality of war and peace in the ancient poetic text
Selected models

هدى عمَّاري*
جامعة أمحمَّد بوقرة – بومرداس – الجزائر
ho.amari@univ-boumerdes.dz

تاريخ الإرسال	تاريخ القبول	تاريخ النشر
2022 / 07 / 17	2022 / 10 / 14	2022 / 12 / 01

مُلخَص البَحث

تعد ثنائية الحرب والسلم موضوعة من أهم الموضوعات في الشّعر العربيّ القديم، وقد أثر حضورها في تشكيل القصيدة العربيّة الجاهليّة، حيث كثيرا ما ترد هذه الثنائية مصاحبة لأغراض شعريّة كالمدح والفخر أو الهجاء. وعليه، فإنّ الدراسة تهدف إلى الكشف عن مدة توظيف هذه الثنائية الضديّة في النّص الشّعريّ. كما تسعى إلى استجلاء القيّم الخلقيّة وملامسة نزعة الخطاب الإصلاحيّ المصاحب للدعوة إلى السّلم. وقد وقع اختيارنا على أنموذجين من الشّعر الجاهليّ الأوّل من معلقة عمرو بن كلثوم تبرز فيه جوانب من تجليات الحرب. أمّا الثاني فيتمثل في قصيدة لزهير بن أبي سلمى التي تتجسد فيها دعوته للسلم. وترمي الدراسة الإجابة عن الإشكالية الآتية: كيف تتجلى ثنائيَّة الحرب والسّلم في النّص الشّعريّ الجاهليّ؟

الكلمات المفاتيح: الشّعر الجاهلي، القصيدة، الثّنائية الضّدية، الحرب، السّلم.

* هدى عمَّاري: ho.amari@univ-boumerdes.dz

تجليّات ثنائية الحرب والسّلم في النّص الشّعري القديم
مقاربة الأنساق الثّقافية المضمرة لنماذج مختارة / هدى عمَّاري

Abstract

The duality of war and peace is one of the most important topics in ancient Arab poetry, and its presence has influenced the formation of the ignorant Arab poem, where this duality is often presented accompanied by poetic purposes such as praise, pride or satire, and therefore the study aims to reveal the duration of the employment of this antagonistic duality in the poetic text as it seeks to clarify moral values and touch the tendency of reformist discourse accompanying the call for peace. The second is a poem by Zuhair ibn Abi Salma, in which his call for peace is embodied, and the study aims to answer the following problem: How is the duality of war and peace manifested in the pre-Islamic poetic text?

Keywords: Ignorant poetry, poem, antagonistic dualism, war, peace.

1. مقدمة

لقد كانت الحرب موضوعة بارزة في النّص الشّعري القديم، وكادت تكون مظهرا من مظاهر الحياة اليومية للعربي في الجاهليّة، وحتَّى أصبحت تنعت بأنّها أيامه، كونها جزء لا يتجزأ من الذهنية الجماعية وتركيبة المجتمع. ولأنَّ الشعراء لسان حال قومهم يعبرون عن آمالهم وآلامهم همومهم وتطلعاتهم، فإنَّهم سخروا قسما من شعرهم للتأريخ لوقائعها، وخصصوا مساحة من قصائدهم للمفاخرة بالبطولات الجسام والإشادة بالشجاعة ومواجهة المهالك. ولم يتأتَ هذا لولا العصبيَّة القبليّة والحميّة الجاهليّة.

وفي المقابل، جنح شعراء آخرون إلى تصوير بشاعة الحروب وفداحة آثارها، وعرضوا صورا قبيحة لها، وانبروا للدعوة إلى إصلاح ذات البين، ومدح رجال السلام، والإكبار بالقيّم السمحة وتعظيم المحاسن الأخلاقية الّتي أقرتها سننها المجتمع القبليّ الجاهليّ.

ضمن هذا الإطار، تسعى هذه الدراسة إلى مقاربة تواجد ثنائيّة الحرب والسلم والبحث في صورها وتجلياتها، وأثر ذلك في تشكيل القصيدة العربيّة الجاهلية، كما يهدف البحث إلى استجلاء القيّم الخلقية وملامسة نزعة الخطاب الإصلاحي المصاحب للدعوة إلى السلم،

من هنا، نلمس إشكالية البحث المتمثلة في الأسئلة التالية: ما تمظهرات ثنائية الحرب والسلم في النصّ الشعري الجاهلي؟ وما الدلالات التي يحملها هذا الحضور الضدي؟

2. تجليات الحرب

تعد الحرب مظهرا من مظاهر الحياة العربيّة الجاهليّة؛ إذ لا تكاد تخلو قصيدة من ذكر أيّام العرب والوقائع الّتي دارت بين القبائل. وهذا الأمر يدل دلالة واضحة على إدراك قيمة الّتي يضيفها ذكر الوقائع في النّص الشّعريّ حيث يرتقي الشّاعر بالمعاني الحماسيّة وشحنها بدلالات جديدة المؤثرة في نفس المتلقي، ويرتفع الشّاعر بمستوى الإيقاع الداخليّ والخارجيّ للخطاب باستعمال ألفاظ مجلجلة قوية النغم تترك أثرا موسيقيا يطرب أذن السّامع.

وأيّا يكن، فإنَّ حضور الحرب بهذا الزخم في القصيدة العربيّة رجع إلى أنّها كانت سلوكا تعارفت عليه القبائل العربيّة قديما وأضحى من يومياتها حتَّى قيل عنها "أيّام العرب" والّتي كانت لها أسباب ترجع بالأساس إلى النسق الاجتماعيّ العام الّذي كرس نظاما خاصا تلتزم به الجماعات والأفراد، تحكمه القوّة والحميّة الجاهلية التي ساهمت في ذيوع النزاعات والخلافات التي كثيرا ما تتحول إلى حروب، يمكن أن نلخص دوافعها في:

دوافع اقتصادية ترجع إلى الطبيعة الجغرافية القاسية لشبه الجزيرة العربية المترامية الأطراف؛ فيصعب إيجاد منابع المياه ومنابت الكلأ وحيثما وجدت تتنافس القبائل حولها وسرعان ما يتحول ذلك إلى قتال دائم. وأمّا الدوافع السياسيّة، فكانت بسبب سيادة العصبية القبليّة؛ فينشب النزاع على الرياسة والشرف، ومن الطبيعي أن تسعى كل قبيلة على الحفاظ على حدودها و مكانتها بين القبائل، وأخرى اجتماعية؛ إذ كثيرا ما يستعر لهيب الحرب بغية الأخذ بالثأر؛ إذ الظروف البيئية و الاجتماعيّة القاسية فرضت عليهم التوجه إليها حتّى صارت "شريعة مقدسة يحققون بها الحياة في هذا المجتمع الّذي تسيطر عليه القوَّة و تتحكم فيه"[1].

لقد سيطرت فكرة الحرب على عقول العرب في العصر الجاهلي، واستأثرت في نفوسهم إلى درجة اعتبروها منهاجا مقدسا لا يحيد عنه الفرد إذا ما تعرض وقومه إلى مكروه يؤثر على وجودهم. ولأنّ الشّاعر لسان حال قومه، فقد راح يصور انفعاله وأفعاله وتجربته أثناءها. ولم يكن ذلك "من الوعي الفردي لشاعر جاهلي واحد، و إنّما يأتي تعبيرا عن محزون اللاشعور الجمعي لدى شعراء العصر، حتّى في تكرار قوالب فنيّة لغوية محددة"[2]؛ فالشّاعر يبتغي إيصال صوت قبيلته، يحمل رسالة تمثيلها أمام القبائل، و يعمل جاهدا لإبراز محاسن فرسانها، وعظمة زعمائها وأصالة نسب أشرافها، وكونه يمتلك ناصية اللغة و قدرة النظم والإنشاد ليحفظ مآثر قومه شعرا، فإنّه يحظى بمكانة مرموقة بين أبنائها؛ فقد "كانت القبيلة من العرب إذا نبغ فيها الشّاعر أتت القبائل فهنأتها وصنعت الأطعمة، واجتمع النساء يلعبن بالمزاهر كما يصنعون في الأعراس و يتباشر الرجال والولدان لأنه حماية لأعراضهم وذب عن أحسابهم، وتخليد لمآثرهم و إشادة بذكرهما"[3].

والشّعر أكثر الفنون رواجا واستعمالا منذ القدم، حتّى قيل الشّعر ديوان العرب؛ فقد كان له الفضل في التأريخ. ويذهب فريق من الدارسين إلى تعليل نشأة الشعر العربي بالحاجة إليه في ذكر الوقائع والأيَّام، والتغنِّي بما يكون فيها من أمجاد وبُطُولات. يقول ابن رشيق: "وكان الكلام كلُّه منثورًا، فاحتاجت العربُ إلى الغناء بمكارم أخلاقها، وطيب أعرافها، وذكر أيامها الصالحة، وأوطانِها النازحة، وفرسانها الأمجاد، وسُمَحَائها الأجواد؛ لتَهُزَّ أنفسها إلى الكرم، وتدُلُّ أبناءها على حسن الشيم، فتوهموا أعاريضَ جعلوها موازينَ الكلام"[4].

وقد ساهمت الأنساق الثقافية السائدة في المجتمع الجاهلي مساهمة بالغة في تنمية الملكة الشعرية للشعراء، وكانت حاضرة بقوة في نسج أخيلتهم ورسم اللوحات الفنية للوقائع، حيث تبلورت من الذهنية

الجاهلية "ذات الإستراتيجية الروحية في تعاملها مع الأشياء، لذلك كانت منابعها منابع الجاهلية الّتي تشكلت الأصنام الوثنية والشّعائر الدينية والممارسات السحريّة الحكايات الخرافيّة"[5].

يطالعنا الشّاعر عمرو بن كلثوم في قصيدته بنفسٍ أبيّة ترفض الضيم والمذلّة، ويجد المقام مناسباً لمناظرة الأعداء وتعداد المحامد والمفاخر القبلية، خاصة إذا علمنا أنّه ارتجل جزءاً هاماً من مقارعة خصمه الحارث بن حلزة بالحجة والبرهان؛ فكان بمثابة المحامي المدافع عن قومه. و أمَّا الجزء الثاني، فنظمه بعد قتله للملك عمرو بن هند، وكانت الفرصة سانحة بأن يذكر بأمجاد أجداده وأنه ورث عنهم الخصال والمكارم. يقول[6]:

ورثت مهلهلا و الخير منه و زهير نعم ذخر الذاخرين
و عتابا و كلثوما جميعا بهم نلنا تراث الأكرمين
و ذا البرة الذي حدثت عنه بهم نحمى و نحمي الملجئينا
ومنا قبله الساعي كليب فأي المجد إلا قد ولينا

نستشف، من خلال الأبيات، التّجلي النّفسي للحرب؛ فالتّغني ببطولات الأجداد من تغلب والإشادة بأمجادهم ترك أثرا بليغا في نفس الخصم الّذي يشعر بدنو مكانته واستصغار لذاته. ويبدو أنَّ النّسق الثقافي العام يقوم على مبدأ التأكيد على شعور الانتماء لقبيلة تغلب، حتى يبقى للشّاعر حق الرئاسة في عيون أبنائها؛ فهو المعين المساعد لعشيرته يوم أوقدت نار الحرب فيبذل المعروف والإحسان على جلدهم أيّام الكرب.

لا تكاد الأبعاد الخلقية لشخصية الشّاعر تفارقه عند تصويره لوقائع المعركة؛ فهو لا يتوانى عن تعداد خصاله وقومه بنبرة لا تخلو من عزة و كبرياء يقدمون على ساحات الوغى تدفعهم إلى ذلك نفوس شجاعة[7] وعقولهم مشغوفة بتحقيق النّصر لا يهابون الموت؛ فنراه يفتخر بفرسان قومه من الشّبان[8]:

شبان يرون القتل مجدا و شيب في الحروب مجربينا

يبدو، جلياً، هيمنة النّسق الذكوري المحرك للعراك الدامي بين الشاعر وقومه وأعدائه المتربصين به. وهذا النظام مدعوم من أنساق أخرى سياسية اجتماعية التي تعطي السلطة العليا للرجل في مجتمع يعظم صورة الرجل البطل الّذي يخوض المعارك دفاعا عن الشرف، وذودا عن الكرامة. و في اعتقادنا أنَّ هذا شكل "من أشكال التقديس التي يخلعها الذهن البدائي على العظماء، ولقد عُبدَت الملوك والأبطال في الديانات القديمة نتيجة وضعهم المتميز في المجتمع، و لقد احتفظ الشّعر العربيّ بآثار دالة على هذا"[9]؛ فالشّاعر عمرو بن كلثوم يركز على هذه الثيمة؛ فلا يكاد يبرح الإشادة بشجاعته و سخائه وإقدامه على مقارعة الأبطال مستعملا الضمير الجمعي الذي يكاد يكون الضمير الأكثر تداولاً في قصيدته. وهذا يدل دلالة واضحة على رغبة الشَّاعر في تأكيد انتمائه لقبيلته وتبوّئه منزلة اجتماعية وسياسية سمحت له بإعلان الحرب وتنفيذها.

في السياق ذاته، تحتاج الحرب إلى وسائل وإعدادات واحتياطات، توفر للأبطال المقاتلين الظروف المناسبة لخوض غمار المعركة دون خوف أو تردد. و نجد أن عمرو بن كلثوم لم يغفل ذلك؛ فأتى على ذكر الراية؛ فحملها في الحرب من عادة العرب، ترفعها الأيادي يوم الوغى شعارا القبيلة، و"سقوطها على الأرض أو

في يد العدو معناه هزيمة أصحابها و عجزهم عن القتال وخور عزيمة المقاتلين عن القتال في النهاية وتلك أمارة الهزيمة و الفرار[10]. لقد أيقن الشّاعر أهميتها في رفع المعنويات فأشاد ببلاء الفرسان المقاتلين عند المحافظة عليها وإرجاعها وقد رويت بدماء الأعداء[11].

بأنّا نورد الرايات بيضا ونصدرهن حمرا قد روينا

لا يكتمل مشهد الحرب إلاّ بذكر تسلح الفرسان المقاتلين بأنواع الأسلحة حتّى تدفع عنه الأعداء؛ فخصص الشّاعر الجاهليّ مساحة لا يستهان بها لوصف استعداد الفرسان لولوج ميدان الوغى، وكلهم عزم على تحقيق النصر بعدما أعدوا السلاح وانتقوا أجوده، وجهزوا خيولهم. و هذا ما يتبين لنا في قول عمرو بن كلثوم[12]:

نطاعن ما تراخى النّاس عنّا و نضرب بالسيوف إذا غُشينا
كأنّ سيوفنا فينا و فيهم مخاريق بأيدي لاعبينا
علينا البيض و البلب اليماني و أسياف يقمن و ينحينا
كأنا و السيوف مسلات و لدنا الناس طرا أجمعينا

يرى الشاعر أن السيوف كانت السلاح الحربي أكثر أنواع الأسلحة استخداما بين الفرسان نظرا لخفته؛ فيكاد يكون السلاح الشخصي الذي لا يفارق الشخص مثل ظله. وقد قدمه الشاعر، في هذه الأبيات، في صورة بليغة قائمة على التشبيه؛ فهي بكثرتها وسرعتها أشبه ما تكون بثوب يفتل وبراعة المقاتلين وخفتهم في النزال جعلت السيوف وكأنها بأيدي صبية يلعبون.

وفي سياق آخر لا يخرج عن النسق الثقافي المتعارف عليه، يبرز الشّاعر الجاهلي انفعاله الشديد استنهاضا للحمية والعصبية؛ إذ يفتخر بالضيم على غير العادة ويعتز بالإباء؛ فتتمظهر العناصر الملحمية وملامح الحماسة والتّغني بالبطولات. و هذا ما نستشفه من قول عمرو بن كلثوم[13]:

ألا لا يجهلن أحد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلين

ولم ينفصل الشاعر عن العرف الاجتماعي السائد في المجتمع الجاهلي، حيث يصطحب المرأة للمشاركة في الحروب والمعارك؛ فتقف جنبا إلى جنب للرجل، وتكون له عون وسند، تثير الحماسة في النفوس المقاتلين وتحثهم على الثبات إذا اشتد وطيس المعركة، وتشجعهم على الإقدام والبذل لتحقيق النصر. كيف لا يكون لها هذا الشأن، وقد كانت حمايتها المسؤولية الأولى للرجل. ولعل استغاثة ليلى بنت المهلهل أم عمرو بن كلثوم في مجلس والدة عمرو بن هند؛ فلم يملك ابنها إلا أن استل سيفه وذبح عمرو بن هند ملك الحيرة، ردا على تعمد إهانة والدته. ولا ينسى الشاعر صورة المرأة الشجاعة القوية؛ فيخصها بأبيات يقول فيها[14]:

على آثارنا بيض حسان نحاذر أن تقسم أو تهونا
أخذن على بعولتهن عهداً إذا لاقوا كتائب معلينا
ليستلبن أبدانا وبيضا وأسرى في الحديد مقرنينا
إذا ما رحن يمشين الهوينا كما اضطربت متون الشاربينا

يقتن جيادنا و يقلن لستم بعولتنا إذا لم تمنعونا
إذا لم نحمهن فلا بقينا لشيء بعدهن و لا حيينا

وبذلك، تكون المرأة قد أدت دروا رئيسا اجتماعيا في تربية النشأ على حمل السلاح وتعلم فنون القتال وخوض غمار المعارك دون خوف، حتّى إن الحرب عند زهير بن أبي سلمى أخذت بعض صفات المرأة (الولادة والتنشئة)[15]:

تعرككم عرك الرحى بثقالها فتلقح كشافا ثم تنتج فتتئم
فتنتج لكم غلمان أشأم كلهم كأحمر عاد ثم ترضع فتفطم

فالشاعر عبر عن الحرب والأهوال الناجمة عنها بامرأة تكافح لأجل تربية طفلها. وجاء فعل تنتج دلالة على الاستمرارية في إشارة إلى تواصل الدمار والخراب الذي تخلفه الحروب.

نستطيع أن نقول، في ضوء ما سبق ذكره، أن حضور الحرب في النّصوص الشّعريّة الجاهليّة أضمر أنساق عديدة، وأثبت أن العرب لم يخرجوا عن أمم سالفة في تقديس الحروب، حتى كانت لها آلهة للحرب مثل عشتار وأفروديت... كما حكمتها نزعة السيطرة وبسط النفوذ لتحقيق السيادة والزعامة بين القبائل.

3. تجليات السلم

شهد المجتمع الجاهلي حروبا كثيرة سجلها التاريخ ودونها الشّعر وفق أنساق سياسيّة وثقافيّة بررت التقتيل والأخذ بالثأر، غذتها العصبيّة القبلية تحت غطاء عام يتمثل في إحياء الأعراف الاجتماعيّة والحفاظ عليها. غير أنّ هذا الحكم لا ينطبق على العصر الجاهلي كلّه؛ فقد نما تيار معارض يرفض العنف ويدين الحرب، ويحاول المساهمة في حلّ النزاعات ونشر الخير والطمأنينة في ربوع بلاد العرب. ويعد زهير بن أبي سلمى داعية السلام في العصر الجاهلي، ومن أشهر الشّعراء المصلحين الّذين دعوا إلى عقد الهدنة وحقن الدماء بين قبيلتي عبس وذبيان، والّتي دامت ما يقارب أربعين سنة.

يظهر الشاعر خبيرا بالحياة؛ فقد عارك صعابها وواجه مشكلاتها، وتجاربه تخوله إدارة الأمور، حيث عايش ما حصدته الحروب من قتلى ويتامى وأرامل، وما تركت من بؤس وفقر ودمار؛ فقد عرف في قومه بالحكمة ورجاحة العقل والاتزان وصواب الرأي؛ فراح يدعو إلى السّلم. ولعلّه، بصنيعه هذا، حقق شذوذا على ذوق الجاهليين وأشعارهم الّتي تدوي بفكرة الأخذ بالثأر والترامي على الحرب ترامي الفراش على النّار. ومن ثمّ، فإنَّ زهير حقق التَّميز عندما دعا إلى تحكيم فضيلة العقل في تسيير الشؤون السّياسيّة و الإنسانية، والتّخلي عن الحرب والرجوع إلى السّلم والسّلام؛ فنظم أبياتا من معلقته ينقل رسالته الأخلاقيّة للناس، ويمدح هرم بن سنان و الحارث بن عوف وهما من ذبيان على إصلاحهما بين القبيلتين المتناحرتين، و تحملهما ديات القتلى. يقول[16]:

يَميناً لَنِعمَ السَيّدانِ وُجِدتُما عَلى كُلِّ حالٍ مِن سَحيلٍ وَمُبرَمِ
تَدارَكتُما عَبساً وَذُبيانَ بَعدَما تَفانوا وَدَقّوا بَينَهُم عِطرَ مَنشِمِ
وَقَد قُلتُما إِن نُدرِكِ السِلمَ واسِعاً بِمالٍ وَمَعروفٍ مِنَ الأَمرِ نَسلَمِ
فَأَصبَحتُما مِنها عَلى خَيرِ مَوطِنٍ بَعيدَينِ فيها مِن عُقوقٍ وَمَأثَمِ
عَظيمَينِ في عُليا مَعَدٍّ وَغَيرِها وَمَن يَستَبِح كَنزاً مِنَ المَجدِ يَعظُمِ

فالشَّاعر يقسم أن الرّجلين هرم والحارث تداركا العشيرتين بالسلم بعد أن تفانى أبنائهما بالحرب، وبذلا المال لأجل حقن الدماء؛ فنالا منزلة الشرف بين الأقوام وسجل التاريخ اسمهما في صفحاته المشرقة.

وكثيرا ما نجد الشعراء يبالغون في الإشادة بالممدوح حد الشطط؛ فيخرجونه من الواقع ويصبغون عليه أوصاف أسطورية. غير أنَّ زهير، ولأنّه عرف برويته وحرصه على الإجادة إلى التّأني في قول الشّعر، وتنقيحه، وتحري الصّدق، فإنَّه لا يذكر للممدوحين إلاَّ ما قاموا به من أعمال جليلة خدمة للإنسانيّة.

ولم يتوقف الشّاعر عند مدح دعاة السلام و مناصريه فحسب، وإنّما حذر من مرارة الصراع الذي يفتك بأبرياء لا ذنب لهم، و يأتي على الأخضر واليابس؛ فرسم الصورة الذميمة البشعة للحرب بغية التنفير منها ومن ويلاتها ونتائجها وتضخيم مساوئها وعيوبها وشرورها في قوله[17]:

وما الحرب إلا ما علمتم وذقتم وما هو عنها بالحديث المرجم
متى تبعثوها تبعثوها ذميمة وتضر إذا ضريتموها فتضرم
فتعرككم عرك الرحى بثقالها وتلقح كشافا ثم تنتج فتتئم
فتنتج لكم غلمان أشام كلهم كأحمر عاد ثم ترضع فتفطم
فتغلل لكم ما لا تغل لأهلها قرى بالعراق من قفيز ودرهم

فزهير يخاطب المتخاصمين بعواقب تمسكهم بالحرب، وينهي إلى مسامع العقلاء منهم بضرورة الجنوح إلى السلام عن طريق إبراز مساوئ الحرب، معتمدا على صور حسية بسيطة بالأمومة الفاجرة التي تلقي أبناءها إلى أحضان البؤس و يحول الأطفال رمز السعادة إلى مصدر الشؤم و تعاسة[18].

لا يخفى عن القارئ لقصيدة زهير بن أبي سلمى أنّها تشتمل على جملة من القيم الخلقية التي تمتزج فيما بينها ضمن النسق العام المشكل للنّص الشّعري لتصنع صورة متكاملة عن الإطار الخلقي الذي يصبو الشّاعر تحققه. وحتّى "يتم المشروع بنجاح عظيم و ينفذ تنفيذا صحيحا كاملا عن رضا تام و اقتناع حقيقي من جميع الأطراف حكماً تساعد على ذلك"[19]، لابد من الامتثال لشروط الصلح وسننه، وأيّ إخلال ينسف الاتفاقية و يعيد حمام الدماء الذي أغرق القبيلتين لسنوات من جديد. لهذا، يرفع زهير نبرة الخطاب، محذرا أطراف النزاع عن تراجع بعد قبول الصلح، قائلا:

ومن يعص أطراف الزجاج فإنّه يطيع العوالي ركبت كل لهذم

والظّاهر أنَّ ما توجّس منه الشّاعر حدث لحصين بن ضمضم المري الّذي أقسم ألا يغسل رأسه حتّى يثأر لقتل أخيه هرما، ولم يستطع فعل ذلك إلا بعد عقد الصلح؛ فتبادل الأطراف اتهامات الغدر، وكادت

الحرب تشتعل مرَّة أخرى، لولا أن قدم الحارث بن عوف مائة من الإبل دية لأهل القتيل ويتم الصلح[20]. وبهذا، رفع زهير صوت العقلاء عالياً؛ فقبح الحروب، وصرح بكراهيتها، فإنّ العين لتدمع والقلب ليحزن لما تحصده آلة الحرب من دمار وشتات، وحرص على تحكيم العقل لنشر السلم وإحلال الاستقرار.

4. خاتمة

نخلص، ممّا تقدّم، إلى:

- تتناظر ثنائية الحرب والسلم بشكل لافت في النص الشعري الجاهلي.
- تكشف هذه الثنائية عن نسق ثقافي مجتمعي، بحاجة إلى التتبع والكشف لمعرفة دلالاته.
- يكشف هذا التناظر في النص عن تناظر في الفكر داخل هذا المجتمع فكما أن هناك من يدعو للحرب، هناك أيضا من ينافح عن السلم.
- الكثير من القراءات السطحية نقلت صورة مزيفة عن المجتمع الجاهلي بتركيزها على تيمة الحرب فيه.
- الحضور الطاغي لفكرة السلم يعطي انطباعا صادقا عن جنوح المجتمع العربي الجاهلي للسلم، وهو ما تم تغييبه.
- لم تكن الحرب اختيارا عند العربي، وإنما فعل استثنائي فرضه واقع آني.
- نحن بحاجة إلى إعادة قراءه حقيقية واعية لتراثنا الشعري مستعينين بأدوات القراءة الحديثة للوصول إلى التصور الدقيق للمجتمع العربي الجاهلي.

الهوامش

1- عبد الرحمن عفيف: الشعر وأيّام العرب في العصر الجاهلي، دار الأندلس، بيروت، 1982، ص 73.
2- أحمد إسماعيل النعيمي: الأسطورة في الشّعر العربيّ قبل الإسلام، سينا للنشر، القاهرة، ط1، 1995، ص 282.
3- ابن رشيق: العمدة في محاسن الشّعر وآدابه، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، ط5، مج 1، ص 153.
4- المرجع نفسه، مج 1، ص3.
5- عبد القادر الرباعي الصورة الفنيّة في النقد الشّعري، مكتبة الكتاني، أربد الأردن، ط1995،2 ص 158.
6- عمرو بن كلثوم: الديوان، تحقيق وشرح إميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان ط1، 1991، ص 84.
7- المصدر نفسه، ص 77.
8- عماد سليم الخطيب: الصورة الفنيّة في المنهج الأسطوري لدراسة الشّعر الجاهلي، المكتبة الأدبيّة، أربد، الأردن، ط1، 2002، ص 113.
9- علي جواد المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار العلم الملايين، بيروت، لبنان، ص 335.
10- عمرو بن كلثوم: الديوان، المصدر نفسه، ص 71.
11- المصدر نفسه، ص 76.

12- المصدر نفسه ص 76.
13- المصدر نفسه، ص 84.
14- زهير بن أبي سلمى: الديوان، تحقيق، علي فتعور، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط1، 1987، ص 27.
15- شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي، دار المعارف، مصر، ط21، ص 308.
16- زهير بن أبي سلمى: الديوان، ص 50.
17- المصدر نفسه، ص **54**.
18- مفيد قميحة شرح المعلقات العشر، دار ومكتبة الهلال، ص 166.
19- علي الجندي: في تاريخ الأدب العربي، دار غريب للطباعة والنشر، 1999، ص 403.
20- ينظر: شوقي ضيف تاريخ الأدب العربي ص 338.

المصادر والمراجع

1- أحمد إسماعيل النعيمي: الأسطورة في الشّعر العربيّ قبل الإسلام، سينا للنشر، القاهرة ، ط1، 1995.
2- أحمد يوسف: القراءة النسقية، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2007.
3- ابن رشيق: العمدة في محاسن الشّعر وآدابه، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، ط5، مج 1
4- زهير بن أبي سلمى: الديوان، تحقيق، علي فتعور، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط1، 1987
5- شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي، دار المعارف، مصر، ط21
6 - عبد الرحمن عفيف: الشعر وأيّام العرب في العصر الجاهلي، دار الأندلس، بيروت، 1982.
7 - عبد القادر الرباعي: الصورة الفنيّة في النقد الشّعري، مكتبة الكتاني، أربد الأردن، ط 2، 1995.
8 - علي جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار العلم الملايين، بيروت، لبنان.
9 - علي الجندي: في تاريخ الأدب العربي، دار غريب للطباعة والنشر، 1999.
10 - عماد سليم الخطيب: الصورة الفنيّة في المنهج الأسطوري لدراسة الشّعر الجاهلي، المكتبة الأدبيّة، أربد، الأردن، ط1، 2002.
11 - عمرو بن كلثوم: الديوان، تحقيق وشرح إميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان ط1، 1991.
12 - مفيد قميحة شرح المعلقات العشر، دار ومكتبة الهلال.